العرب
الأربعاء 2019/07/31
السنة 42 العدد 11424

لا كتب ولا مسافرين في محطة الحجاز

محاضرة أدائيّة تجمع التاريخ بالخيال للبحث عمّا اختفى في دمشق

تأسست مجموعة "فهرس للممارسات النشريّة" عام 2015 في برلين، واضعة نصب عينيها موضوعة "اختفاء" المكتبات والأرشيفات في المنطقة العربيّة، بوصفها مساحات ثقافيّة وسياسيّة تختزن داخلها ممارسات تساهم في صناعة "الماضي"، ومن هذا المنطلق كانت أغلب نشاطاتها.

وثائق بصرية عن تاريخ محطة الحجاز

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس – بدأت مجموعة "فهرس للممارسات النشريّة" عملها مع مكتبة عبدالرحمن منيف وما تعرضت له من سرقة، وقد قامت "العرب" بتغطيتها سابقا، لتستمر المجموعة بعدها في اكتشاف أشكال الوثائق الأرشيفيّة وانتقالها بين الوسائط المختلفة سواء كانت رسميّة أو فنيّة، جاعلة من الأرشيف موضوعة جماليّة وتاريخيّة.

> عرض عن تاريخ المحطة بوصفها معادلا للخذلان تترك الناس ينتظرون مستعدين دوما للرحيل بينما لا قطار فيها

أخيرا شهد مركز بيروت للفن ضمن معرض "كيف تعاود الظهور: من بين أوراق النشر المستقل" محاضرة أدائيّة بعنوان "بانتظار المحطة"، والتي سبق لمجموعة فهرس للممارسات النشريّة تقديمها في العام الماضي بالشارقة، لنرى أنفسنا أمام رحلة نتعرف فيها على قطار لم يأت، ومحطة تحولت إلى مساحة لصناعة الذاكرة والثقافة، وتجربة ذاتية في دمشق يحركها الفضول من جهة والرغبة الأكاديميّة من جهة أخرى.

محطة بلا قطار

لا بد لأي زائر لدمشق أن يمر بجانب محطة الحجاز التي تأسست عام 1907، التي تحولت إلى مكتبة دائمة منذ سنوات، لتبدو صرحا أثريّا اعتاد المارة وجوده، وبعيدا عن القاطرة اللُعبيّة أمامها، أجيال كثيرة ترى فيها وعدا برحيل ما، وفضاء سينيكيا (Cynique) تحيط به المطابع وباعة الكتب المتنوعة، ومن هذه المتغيرات "أثر معماريّ، تجربة شخصيّة، وثيقة تاريخية"، يتحرك عرض بانتظار المحطة، بالتوازي مع مسرحيّة الأخوين رحباني وفيروز "المحطّة"، كمعادل فني ذي دلالات سياسيّة تكشف لنا عن تاريخ المحطة بوصفها معادلا للخذلان، يترك الناس ينتظرون في محطة لا قطار فيها، مستعدين دوما للرحيل.

يقف مؤسسو "فهرس" أمامنا على الخشبة؛ سامي رستم يخبرنا عن مسرحيّة الرحابنة التي عرضت في بيروت ثم دمشق في السبعينات، والتي تحكي قصة حقل سيتحول إلى محطة، كما نسمع تعليقاته عليها ومقاطع منها، كذلك يخبرنا عن تجربته الشخصيّة مع المحطة التي عرفها أثناء إقامته في دمشق قبل أن يرحل إلى ألمانيا، في ذات الوقت يرسم كنان درويش خارطة باليد لما حول المحطة من شوارع ومحلات، مستندا على ذكريات زملائه، وما جمعوه من صور ووثائق أثناء مرورهم بجانبها أو اكتشافهم لها ضمن سياقات مختلفة، بينما يقرأ عمر نقولا رسائل توثق لزياراتهم الشخصية للمحطة والتحولات التي مرّت بها، حتى صارت مكتبة دائمة.

هذه التجربة ذاتها مع فضاء المحطة، نراها في زيارة الأخوين رحباني وفيروز لدمشق، ونزولهم في أحد الفنادق المحيطة بها، ولا ندري بدقة مدى علاقتهم معها، خصوصا أن فيروز هنا تمتلك حضورين، كشخص حقيقي رأى المحطة، وشخصية وردة المتخيلة في المسرحية التي تبشر بقطار لن يأتي، ما يغير من حسابات كل من في القرية، الذين اشتروا تذاكر متوهمين أن قطارا سيأتي ليأخذهم بعيدا.

نتلمس في العرض تواريخ الاختفاء، القطار، المكاتب، صناعة الورق، محل الأسطوانات الشهير "الموصلي"، ليبقى من بينها جميعا بناء المحطة حاضرا كإرث متحفيّ يحوي الإصدارات الرسميّة، لتبدو المحطة أشبه باختزال لنظام الأرشيف في سوريا، مرتجل، مهمل،غارق في الفساد، يتلاشى تدريجيا أو يصبح بضاعة كما حصل مع سامي الذي اشترى أعدادا من مجلة "الجنديّ السوريّ" التي تعود إلى الستينات، كل هذا المزيج من الوثائق يتركنا في رحلة تاريخيّة- فنيّة للبحث عن قطار التغيير الذي لم يصل إلى ضيعة ورد ولا إلى دمشق.

توثيق مسرحي

تتداخل في العرض ثلاثة أشكال من إنتاج الوثائق أوّلها محاولات النقد الأدبي، إذ يخبرنا رستم عن الأوهام التي حلت بالقرية التي تنتظر القطار لأن وردة قالت إن هناك سكة، وكيف صدق بائع التذاكر دوره الوهميّ وبدأ يمارسه بجديّة، أيضا هناك نصوص المغامرة أو الرحلة، والتي نتلمس معالمها في الرسائل التي يقرأها نقولا والتي تصف زيارات متعددة للمحطة، والثالثة هي وثائق الأرشيف؛ الأعداد القديمة من المجلات والصور الملتقطة للمحطة وما حولها، لنرصد عبر ما سبق التغيرات التي مرت بها المحطة، وتحولها من مساحة انتظار محتملة في سبيل الرحيل، إلى معرض دائم للإصدارات الرسميّة لوزارة الثقافة في سوريا، وكأننا في مواجهة بين "الرسميّ والشرعيّ" الظاهر بالقوة، وبين الهامشي المهدد بالاختفاء الذي لا بدّ من البحث عنه.

نكتشف أيضا في العرض فضاءات النشر في المنطقة المحيطة بالمحطة كالمكتبة العربية ومكتبة الهلال ومكتبة النوري، التي سأل نقولا أصحابها عن طبيعة علاقتهم بالمحطة القريبة منهم ليكون الجواب "لا شيء!"، لتبدو المحطة أشبه بدمية بائع التذاكر التي تحويها، مكانا منسيّا ذا تاريخين؛ أحدهما رسميّ كدميّة مشلولة بلا روح، وآخر خفيّ مليء بالإحباط، يتعرف من يبحث فيه على سياسات الاختفاء التي تشهدها مدينة دمشق وتحوّل معالمها يوما بعد يوم إلى صور تستخدم للترويج الدعائي، صور توظف سوء الفهم الذي حصل في مسرحيّة الرحابنة، والذي حوّل كل سكان القرية إلى مدمنين على الوهم.

«الشارقة، وجهة نظر 7» فنانون يدخلون عوالم مجهولة

الشارقة - افتتحت مؤسسة الشارقة للفنون، ضمن برنامجها لفصل الصيف، معرض "الشارقة، وجهة نظر 7"، المبادرة السنوية المخصصة للتصوير الفوتوغرافي، والذي يستمر حتى 6 أكتوبر المقبل، وذلك في الرواقين 1 و2، بساحة المريجة.

وللمرة الأولى هذا العام، لم يتم تحديد ثيمة محددة للمعرض، وجرى توسيع نطاق الدعوة المفتوحة لتشمل ليس فقط المقيمين في الإمارات العربية المتحدة ودول مجلس التعاون الخليجي، بل أيضا كل من يود المشاركة من مختلف أنحاء العالم.

ويشارك في المعرض 36 مصورا من أكثر من 20 دولة، يقدمون أعمالهم التي تتناول مجموعة من المواضيع الاجتماعية والفكرية والجمالية، عبر مجموعة واسعة من الأنماط مثل التصوير المفاهيمي، والتصوير في الشارع، والمناظر الطبيعية للأرض والمدينة، والبورتريه. وتوضح هذه الصور مجموعة واسعة من التقنيات في كل من التصوير الفوتوغرافي الرقمي والفيلمي، مثل المونتاج، والكولاج، وإعادة بناء الأرشيف، والرسم الضوئي.

ومن بين الأعمال المشاركة نذكر عملا بعنوان "بين الماء والوطن" للفنان مجد علوش، حيث يصور فيه أزمة اللاجئين من خلال رؤيته ومقاربته.

أما مهرة المهيري فتسعى في عملها "تأشير" إلى توثيق رقصة حرب قديمة، تؤدى باستخدام بندقية تدعى "ماغما"، من أجل تحفيز الجنود، وتعتبر هذه الرقصة فولكلورا شعبيا يؤدى في مناسبات خاصة مثل حفلات الزفاف والمهرجانات والأعياد الوطنية.

وفي سلسلة "هوشمار"، يُقارب محمد ألتوم المجتمعات المهاجرة من النوبيين، التي تنحدر من حضارة النوبة القديمة، التي تشتت أبناؤها في جميع أنحاء شرق أفريقيا نتيجة الاستعمار وإعادة التوطين.

فيما يستعيد صالح بشير في عمله "باحثون عن وطن" المشاعر التي عاشها جراء الاغتراب والوحدة وضعف الانتماء والرغبة الغامرة في العودة إلى وطنه السودان.

> 36 مصورا من 20 دولة يشاركون في المعرض بأعمال تتناول مواضيع اجتماعية وفكرية وجمالية

وتستكشف هناء جمال في عملها "الجلابية الأخيرة" الحياة الريفية في مدن مختلفة في جميع أنحاء مصر، حيث إن النساء في تلك المناطق الزراعية لا يزلن يرتدين الجلابيات التي كانت تعتبر لباسا سائدا في عموم مصر، إلا أنه بدأ بالتلاشي في المدن الرئيسية اليوم.

ويدمج لاكين أوغونبانو بين التصوير الفوتوغرافي للأزياء والبورتريه الكلاسيكي لخلق صور مبهمة مع ألوان خافتة في عمله "تعال انظر إليّ"، الذي يستكشف الثقافة المحيطة بالعرائس ومراسم الزواج في نيجيريا.

أما "في زمن التقهقر"، فهو عمل للفنانة هدى عبدالمغني، حيث توثق فيه احتفالات قرية "سلخ" في كل صيف بعيد رأس سنة الصيادين.

واحتراما لسخاء الطبيعة، يتوقف السكان خلال هذا اليوم عن أعمال صيد السمك، ويعتبر الصيد المهنة التي يكسبون منها كفاف يومهم، ووسط الاحتفالات تنخرط مجموعة من الشخصيات في الحشد، لتغيظ وتخيف كل من تصادفه في طريقها.

فيما يهدف أولغاتش بوزالب من خلال أعماله "صبية قونية"، "نساء في دبابة"، "بنادق"، و"سترات مطرية" إلى استكشاف مواضيع الهجرة، وشتى أنواع الأسباب، التي تدفع الناس إليها، وخوض مثل هذه الرحلات.

الكاميرا تدخل الضوء إلى أكثر الأماكن عتمة

ذاكرة الكاريكاتير.. مشروع للحفاظ على تراث النقد الساخر في مصر

سامح الخطيب

القاهرة – يعمل الباحث المصري عبدالله الصاوي على مشروع طموح لجمع وتوثيق رسوم الكاريكاتير التي صدرت في الصحف والدوريات والكتب العربية والأجنبية بمصر منذ 1878 إلى اليوم، لكن بعد أن أنجز مرحلته الأولى يواجه عقبات مالية ولوجستية تهدد المشروع بأكمله بالجمود.

عبدالله الصاوي، الذي يعود بدأ مشروعه منذ 2012، قادته الصدفة إلى البحث والتقصي قي تاريخ الكاريكاتير بمصر وتسليط الضوء على رواده الذين كان من بينهم أجانب جاؤوا إلى مصر وعاشوا فيها وتجنسوا بجنسيتها ليؤرخوا برسوماتهم أبرز الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

يقول الصاوي (35 عاما) "أثناء إعدادي للحصول على درجة الماجستير في موضوع الكاريكاتير والحركة السياسية بمصر اطلعت على مواد نادرة وفي غاية الأهمية عن بدايات الكاريكاتير في مصر، لكنها كانت للأسف مهملة ومعرضة للتلف".

ويضيف "من هنا ولدت فكرة حفظ أرشيف الكاريكاتير وسيرة أصحابه رقميا وانشغلت بالمشروع إلى درجة أني لم أكمل إعداد رسالة الماجستير". مشددا على أن الكاريكاتير بالنسبة إليه ليس مجرد رسم أو نكتة، لكنه وثيقة يعتد بها في التأريخ لحدث ما أو فترة زمنية محددة.

وتغطي المرحلة الأولى من المشروع التي استغرقت سبع سنوات، الفترة من 1878 حين ظهرت مجلة "أبو نظارة زرقا" ليعقوب صنوع، مرورا بالحقبة الليبرالية المصرية، وصولا إلى ثورة 1952، وشملت أعمال وسيرة مجموعة من رواد فن الكاريكاتير أمثال الإسباني خوان سنتيس والأرمني ألكسندر صاروخان ومحمد عبدالمنعم رخا وزهدي العدوي وحسين بيكار وأحمد طوغان من مصر.

ورغم جمعه لنحو 100 ألف رسم كاريكاتيري في المرحلة الأولى بدعم من الجمعية المصرية للكاريكاتير ودار الكتب والوثائق القومية وأسر بعض فناني الكاريكاتير والمؤسسات الصحافية والأديرة وكليات الفنون، يظل التمويل وقلة عدد العاملين أبرز ما يهدد مستقبل مشروع ذاكرة الكاريكاتير.

> مشروع طموح لجمع وتوثيق الأعمال الكاريكاتورية في مصر يعاني من قلة الدعم وانعدام التمويل رغم أهميته

وعلى هامش المشروع أقيم أخيرا في دار الكتب والوثائق حفل إطلاق وتوقيع كتاب "صاروخان.. البدايات المجهولة" الذي يسلط الضوء على رسام الكاريكاتير الأرمني ألكسندر صاروخان (1898–1977) والذي عاش في مصر قرابة النصف قرن.

يتتبع الكتاب الصادر باللغتين العربية والإنكليزية بدعم من جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة سيرة صاروخان منذ الميلاد في قرية أردانودج التابعة لمقاطعة باطوم، إحدى المناطق الإدارية في إقليم ما وراء القوقاز التابع للإمبراطورية الروسية آنذاك مرورا بانتقاله إلى النمسا لدراسة الفنون وانتهاء إلى استقراره في مصر منذ 1924 وحتى وفاته عام 1977.

كما يرصد الكتاب رحلة عمله في مصر التي شملت صحفا ومجلات عربية وأجنبية منها "روز اليوسف" و"الكشكول" و"صدى الشرق" و"الصرخة" و"آخر ساعة" و"أخبار اليوم" ويتعرض أيضا لأربعة كتب أصدرها صاروخان في مجال الكاريكاتير.

الكتاب من تأليف عبدالله الصاوي وترجمته إلى الإنكليزية سعاد فطيم وتعود معظم مادته إلى المذكرات التي كتبها صاروخان بنفسه عام 1974 بعنوان "كيف جئت إلى مصر؟".

الكاريكاتور ليس رسما فقط (من أعمال ألكسندر صاروخان)